وزارة التعليم العالي والبحث العلمي المادة : علم الصوت (الصف الثاني)

جامعة الانبار – كلية الآداب أستاذ المادة : أ.د. علي حسين

قسم اللغة العربية الفصل الثاني (٢٠١٩ - ٢٠٢٠)

المحاضرة (الثانية عشرة)

(تصنيف الأصوات اللغوية)

إن عدد الأصوات التي تنتجها آلة النطق لدى الإنسان كبير جداً ، لكن اللغات البشرية تستخدم عدداً محدوداً من تلك الأصوات ، وهي تتفاوت في الأصوات التي تستخدمها من لغة إلى أخرى ، تبعاً لاعتبارات تأريخية ولغوية ، وإن كانت أصوات معينة أكثر استخداماً من غيرها في أكثر اللغات . ويتنوع نطق أصوات اللغة الواحدة عند المتكلمين بها حسب عمر الناطق وجنسه ، وحسب الموقف الكلامي وملابساته . ويلجأ علماء الأصوات إلى تصنيف أصوات الكلام إلى مجموعات حسب أسس معينة ، لتيسير دراستها وتحديد خصائصها الصوتية ، وأشهر صور تصنيف الأصوات في التراث الصوتي العربي هي بالاستناد إلى تحديد مكان إنتاج الصوت في آلة النطق ،وهو ما يعرف بالمخرج ، وجمعه مخارج ، وبالاستناد إلى تحديد كيفية تكوُّن الصوت في مخرجه وهو ما يعرف بالصفات . واعتنت الدراسات الصوتية المعاصرة بصور أخرى لتصنيف الأصوات وردت إشارات إليها في التراث الصوتي العربي القديم ، لكنها لم تُعرض بالإطار النظري الذي صارت تعرض فيه الآن .

وليس هناك ما يحتم علينا التقيد بصورة المنهج القديم لتصنيف الأصوات لولا أننا نجد أن كثيراً من ملامح ذلك المنهج لا تزال مناسبة للدرس الصوتي العربي ، خاصة بالنسبة إلى الطريقة المتبعة في دراسة أصوات العربية في هذا الكتاب . لكن ذلك لا يمنع من مراعاة ما تحقق من منجزات في الدراسات الصوتية المعاصرة . ووجدت أنه يمكن أن يستند تصنيف الأصوات إلى اعتبارات لا تتخلى عن المنهج القديم كما أنها لا تهمل الدرس الحديث من خلال الأسس الثلاثة الآتية :

١.تصنيفها إلى أصول وفروع .

٢.تصنيفها إلى جامدة وذائبة .

٣.تصنيفها إلى مجموعات بحسب المخارج والصفات .

أولاً : تصنيف الأصوات إلى أصول وفروع :

إن تحديد عدد أصوات لغة ما يخضع لاعتبارات غير صوتية أحياناً ، فلو أن دارساً أراد ان يحدد أصوات لغة غير مكتوبة ، وهي مجهولة لديه ، فإنه سوف يجد عند تحليل نص كلامي منطوق لتلك اللغة أن عدد أصوات تلك اللغة كبير جداً ، وأن هذا العدد سوف يتناقص كلما تعمق الدارس في دراسة تلك اللغة وزادت معرفته بنظامها الصرفي والنحوي ، حتى يستقر أخيراً على رقم هو أقل بكثير مما لاحظه في نظرته الأولى إلى أصوات تلك اللغة ، وأنه إذا أراد أن يضع نظاماً

كتابياءلها فإنه سوف يتغاضى عن كثير من الفوارق الصوتية الدقيقة بين الأصوات ، ويُخَصَّص رمزاً واحداً لمجموعة من الأصوات التي بينها اختلافات صوتية صغيرة ، وفق اعتبارات صرفية أو دلالية .

ويمكن توضيح ذلك بمثال من العربية ، فعند تحليل الخصائص الصوتية الدقيقة لصوت النون ، وهو واقع في سياقات نطقية مختلفة ، نجد أن هناك عدداً من النونات المختلفة صوتياً ، لكننا ننظر إليها ، على الرغم من ذلك ، على أنها نون واحدة .

فالنون في (يَنْهَوْنَ عَنْهُ) لثوية أنفية .

وهي في (أَنْفُسِكُم) أسنانية شفوية أنفية .

وفي (مُنْذِر) أسنانية أنفية .

وفي (مَنْشوراً) غارية أنفية .

وفي (مِنْكم) طبقية أنفية .

وفي (مُنْقلبون) لهوية أنفية .

فهذه ستة أصوات تشترك في صفة الأنفية وتختلف في المعتمد ، أو المخرج ، لكننا نمثلها في كتابتنا الهجائية برمز واحد ، ونتغاضى عما بينها من فوارق ، بينما نجد صوتاً أنفياً آخر قد ميزته الأبجدية العربية برمز مستقل وهو صوت الميم ، في حين أن الفرق بينه وبين النون في (عنه) من الناحية الصوتية لا يزيد على الفرق بين صوت النون في (منذر) أو (منكم) والنون في (عنه) ، فلا بد إذن أن تكون هناك اعتبارات أخرى تجعلنا ننظر إلى عدد من الأصوات ونعدها صوتاً واحداً .

وحين نريد أن نحدد الملامح الصوتية للنون في العربية فإننا نقول : إنّ النون صوت لثوي أنفي مجهور ، ونعد الصور النطقية الأخرى للنون تنوعات موقعية لا تؤدي إلى تغير معاني الكلمات .

فلو تأملت في قوله تعالى (لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي)الكهف:١٠٩.

لوجدت أن النون في (نَفِدَ)تختلف صوتيًا عن النون في (تَنْفَدَ)لكن ذلك لم يُؤدِّ إلى تغير المعنى في الكلمتين ، وأن ما بينهما من فرق في الدلالة متأتٍّ من اختلاف الصيغة في الفعلين ، وليس من الاختلاف الصوتي للنون في الكلمتين .

وهذا التفريق بين الأصوات على هذا النحو مرتبط بنظرية صوتية غربية حديثة هي نظرية الفونيم ، التي اختلفت حولها الآراء ، يقول د. أحمد مختار عمر : "ربما لم يُخْتَلَفْ حول أي نظرية من نظريات علم اللغة ، كما اختُلِفَ حول نظرية الفونيم " .

إنّ نظرية الفونيم – مهما كان تفسيرها – قد انبثقت من ملاحظة كيفيات النطق المختلفة ، ووظائف الأصوات المتنوعة ، ومن محاولة وضع ألفبائيات للغات المختلفة . فقد لاحظ العلماء أنه على الرغم من أن الأصوات المستعملة في الكلام تُعَدّ ذات تَنوّع غير محدود ، فإن المتكلمين والسامعين يكونون عادة واعين بعدد صغير فقط من الأنماط الصوتية المستقلة .

كان سيبويه-رحمه الله- أول مَن قسَّم أصوات العربية إلى أصول وفروع ، إذ قال :" فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفًا ... وتكون خمسة وثلاثين حرفًا بحروف هن فروع ، وأصلها من التسعة والعشرين ، وهي كثيرة يؤخذ بها وتُستحسن في قراءة القران والاشعار . وهي :

النون الخفيفة ، والهمزة بين بين ، والألِف التي تمال إمالة شديدة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي كالزاي ، وألف التفخيم ، يُعنى بلغة أهل الحجاز ، في قولهم الصلاة والزكاة والحياة. وتكون اثنين وأربعون حرفًا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة مَن تُرضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا الشعر ، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي كالكاف ، والجيم التي كالشين ، والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ، والظاء التي كالثاء ، والباء التي كالفاء . وهذه الحروف التي تمَّمَتْها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون لا تتبين إلّا بالمشافهة ".

وقد اعتنى علماء العربية وكثير من علماء التجويد ببيان الحروف الأصول والفروع بعد سيبويه ، وكان أكثر من دقق فيها ومَثَّل لها عبد الوهاب القرطبي (٤٦١هـ) في كتابه " الموضح في التجويد" فذكر أولا الحروف الستة المستحسنة ووضحها ومثَّل لها ، وأضاف إليها أصواتًا أخرى من جنس ما ذكره سيبويه منها ، ثم ذكر من غير المستحسنة الثمانية التي ذكرها سيبويه لكنه قال : إن حروف العربية تصير بها ثلاثة وأربعين ، وبعد أن وضّحها ومثَّل لها قال :إن حروف العربية تبلغ على قياس ما عدّه سيبويه اثنين وخمسين حرفا .

والله الموفق